سالم
موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

شرح «كشف الشبهات»

الدَّرس الثَّالث عشر

لفضيلة الشّيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ
حفظه الله تعالى

النُّسخة الإلكترونيَّة (٢)

الشيخ لم يراجع التفريغ

أخي الطالب إرسالك للأخطاء التي تتخلل التفريغ يسهِّل إخراج نسخة مصححة
attafreegh@gmail.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الدرس الثالث عشر

فَإِنْ قَالَ: أَنَا لَا أُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا حَاشَا وَكَلَّا، وَلَكِنَّ الالْتِجَاءَ إِلَىٰ الصَّالِحِينَ لَيْسَ بِشِرْكٍ.

فَقُلْ لَهُ: إِذَا كُنْتَ تُقِرُّ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ الشِّرْكَ أَعْظَمَ مِن تَحْرِيمِ الزِّنَا، وَتُقِرُّ أَنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُهُ، فَمَا هٰذا الأَمْرُ الَّذِي حرَّمَهُ اللهُ وَذَكَرَ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُهُ؟ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي.

فَقُلْ لَهُ: كَيْفَ تُبَرِّئُ نَفْسَكَ مِنَ الشِّرْكِ وَأَنْتَ لَا تَعْرِفُهُ؟ [أم] كَيْفَ يُحَرِّمُ اللهُ عَلَيْكَ هٰذَا وَيَذْكُرُ أَنَّهُ لا يَغْفِرُهُ وَلا تَسْأَلُ عَنْهُ ولا تَعْرِفُهُ، أَتَظُنُّ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يُحَرِّمُهُ هٰذَا التَّحْرِيمَ وَلا يُبَيِّنُهُ لَنَا؟

فَإِنْ قَالَ: الشِّرْكُ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ، وَنَحْنُ لا نَعْبُدُ الأَصْنَامَ.

فَقُلْ لَهُ: ما مَعْنَىٰ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ؟

أَتَظُنُّ أَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ تِلْكَ الأَحْجَارَ وَالأَخْشَابَ والأَشْجَارَ تَخْلُقُ وَتَرْزُقُ وَتُدَبِّرُ أَمْرَ مَنْ دَعَاهَا؟ فَهٰذَا يُكَذِّبُهُ القُرْآنُ. كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[يونس:٣١] **الآيَة**.

وَإِنْ قالَ: هُوَ مَنْ قَصَدَ خَشَبَةً، أَوْ حَجَرًا، أَوْ بِنْيَةً علىٰ قَبْرٍ أَوْ غَيْرِهِ، يَدْعُونَ ذَلِكَ وَيَذْبَحُونَ لَهُ يَقُولُونَ: إِنَّهُ يُقَرِّبُنَا إِلَىٰ اللهِ زُلْفَىٰ، وَيَدْفَعُ اللهُ عَنَّا بِبَرَكَتِهِ أَوْ يُعْطِينَا بِبَرَكَتِهِ = فَقُلْ: صَدَقْتَ، وَهٰذا هُوَ فِعْلُكُمْ عِنْدَ الأَحْجَارِ وَ[البِنَاءِ] الَّذِي عَلىٰ القُبُورِ وَغَيْرِهَا، فَهٰذا أَقَرَّ أَنَّ فِعْلَهُم هٰذا هُوَ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ وَهُوَ المطْلُوبُ.

وَيُقَالُ لَهُ أَيْضًا: قَوْلُكَ: الشِّرْكُ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ، هَلْ مُرَادُكَ أَنَّ الشِّرْكَ مَخْصُوصٌ بِهٰذَا، وَأَنَّ الاعْتِمَادَ عَلىٰ الصَّالِحِينَ وَدُعَاءَهُمْ لَا يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ؟

فَهٰذَا يَرُدُّهُ مَا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ مِنْ كُفْرِ مَنْ تَعَلَّقَ عَلَىٰ الملائِكَةِ أَوْ عِيسَىٰ أَوِ الصَّالِحِينَ.

فَلابُدَّ أَنْ يُقِرَّ لَكَ أَنَّ مَنْ أَشْرَكَ فِي عِبَادَةِ اللهِ أَحَدًا مِن الصَّالِحِينَ فَهُوَ الشِّرْكُ المَذْكُورُ فِي القُرْآنِ وَهٰذا هُوَ المَطْلُوبُ.

وَسِرُّ المَسْأَلَةِ: أَنَّهُ إِذا قَالَ: أَنَا لَا أُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا. فقُلْ لَهُ: وَمَا الشِّرْكُ بِاللهِ؟ فَسِّرْهُ لِي.

فَإِنْ قالَ: هُوَ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ. فَقُلْ لَهُ: ومَا [مَعْنَىٰ] عِبَادَةِ الأَصْنَامِ؟ فَسِّرْهَا لِي.

وَإِنْ قَالَ: أَنَا لَا أَعْبُدُ إِلَّا اللهَ. فَقُلْ: ما مَعْنَىٰ عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ؟ فَسِّرْهَا لِي، فَإِنْ فَسَّرَهَا بِمَا بَيَّنْتُهُ فَهُوَ المَطْلُوبُ، وَإِنْ لَمْ يَعْرِفْهُ فَكَيْفَ يَدَّعِي شَيْئًا وَهُوَ لا يَعْرِفُهُ.

وَإِنْ فَسَّرَهَا بِغَيْرِ مَعْنَاهَا بَيَّنْتَ لَهُ الآيَاتِ الوَاضِحَاتِ فِي مَعْنَىٰ الشِّرْكِ بِاللهِ وَعِبَادَةِ الأَوْثَانِ أَنَّهُ الَّذِي يَفْعَلُونَ فِي هٰذَا الزَّمَانِ بِعَيْنِهِ. وَأَنَّ عِبَادَةَ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ هِيَ الَّتِي يُنْكِرُونَ عَلَيْنَا وَيصِيحُونَ [مِنْهُ] (١)، كَمَا صَاحَ إِخْوَانُهُم حَيْثُ قَالُوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾[ص].

[فَإِنْ قَالَ: إِنَّهُمْ لَمْ يَكْفُرُواْ بِدُعَاءِ المَلاَئِكَةِ والأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّمَا كَفَرُوا لَـمَّا قَالُواْ: المَلاَئِكَةُ بَنَاتُ اللهِ، وَنَحْنُ لَمْ نَقُلْ: إِنَّ عَبْدَالْقَادِرِ وَلاَ غَيْرَهُ ابْنُ اللهِ.

فَالجَوَابُ: أَنَّ نِسْبَةَ الوَلَدِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ كُفْرٌ مُسْتَقِلٌّ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾، وَالأَحَدُ:الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ، والصَّمَدُ: الْمَقْصُودُ فِي الْحَوَائِجِ، فَمَنْ جَحَدَ هٰذا فَقَدْ كَفَرَ، وَلَوْ لَمْ يَجْحَدْ [آخِرَ السُّورَةِ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ فَمَنْ جَحَدَ هٰذَا فَقَدْ كَفَرَ، وَلَوْ لَمْ يَجْحَدْ أَوَّلَ] السُّورَةِ.

وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ﴾[المؤمون:٩١] فَفَرَّقَ بَيْنَ النَّوْعَيْنِ، وَجَعَلَ كُلًّا مِنْهُمَا كُفْرًا مُسْتَقِلًّا.

وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ﴾[الأنعام:١٠٠] فَفَرَّقَ بَيْنَ الكُفْرَيْنِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ هٰذا أَيْضًا: أَنَّ الذِينَ كَفَرُواْ بِدُعَاءِ اللَّاتِّ- مَعَ كَوْنِهِ رَجُلاً صَالِحًا- لَـمْ يَجْعَلُوهُ ابْنَ اللهِ، وَالذِينَ كَفَرُواْ بِعِبَادَةِ الجِنِّ لَمْ يَجْعَلُوهُم كَذَلِكَ.

وَكَذَلِكَ العُلَمَاءُ أَيْضًا فِي جَمِيعِ المَذَاهِبِ الأَرْبَعَةِ يَذْكُرُونَ فِي بَابِ حُكْمِ المُرْتَدِّ: أَنَّ المُسْلِمَ إِذَا زَعَمَ أَنَّ للهِ وَلَداً فَهُوَ مُرْتَدٌّ، وَإِنْ أَشْرَكَ بِاللهِ فَهُوَ مُرْتَدٌّ، فَيُفَرِّقُونَ بَيْنَ النَّوْعَيْنِ، وَهٰذَا فِي غَايَةِ الوُضُوحِ.

وَإِنْ قَالَ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢﴾[يونس].

فَقُلْ: هٰذا هُوَ الحَقُّ، وَلٰكِنْ لاَ يُعْبَدُونَ، وَنَحْنُ لاَ نُنْكِرُ إِلَّا عِبَادَتَهُمْ مَعَ اللهِ، وإِشْرَاكَهُمْ مَعَهُ، وَإِلَّا

---

(١) هنا : فيه.

فَالوَاجِبُ عَلَيْكَ حُبُّهُمْ وَاتِّبَاعُهُمْ وَالإِقْرَارُ بِكَرَامَاتِهِمْ، وَلَا يَجْحَدُ كَرَامَاتِ الأَوْلِيَاءِ إِلَّا أَهْلُ الْبِدَعِ والضَّلَالَاتِ، وَدِينُ اللهِ وَسَطٌ بَيْنَ طَرَفَيْنِ، وَهُدًى بَيْنَ ضَلَالَتَيْنِ، وَحَقٌّ بَيْنَ بَاطِلَيْنِ.][1]

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ نبيِّنا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

اللّٰهمَّ علِّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا من العلم والعمل، يا أرحم الرَّاحمين.

ربَّنا لا تكِلْنا لأنفسنا طرفة عين، لا حول لنا ولا قوة لنا إلا بك.

اللّٰهمَّ كما علَّمت العُلماء فعلِّمنا، وكما فهمتهم ففهمنا، ألحقنا بزمرة ورثة الأنبياء، يا أرحم الرَّاحمين.

أمَّا بعد..

فهٰذا الكلام الذي سمعناه جوابٌ علىٰ شبهةٍ أدلىٰ بها طائفةٌ أخرىٰ، وهٰذه الشُّبه التي ذكرها الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ تجدُ فيها تكريرًا؛ وذلك لأنه أورد ما أورده النَّاسُ من الشبه علىٰ التَّوحيد، وقد يكون ما قاله فلانٌ يدخل بعضُه في ما قاله الآخر، لهٰذا ترىٰ أنَّ فيها نوعَ تكريرٍ ونوعَ إعادة؛ لأنَّ الشبه متداخلة، وهٰذا يدلّ علىٰ أنَّ القوم يتواردون علىٰ شبهٍ أصلُها واحد.

فإذا أحْكمَ طالبُ العلم المقدِّمات التي ذكرناها في أوَّل هٰذا الشرح وجواب الشبه الثلاث التي هي أكبر ما عندهم، سَهُل عليه الجوابُ عن الشبه الأخرىٰ مهما اختلفت وتلوَّنت، وهٰذا الذي ذُكر هنا جوابُ الشُّبهة التي يمكن أن تُعَنْوَنَ بقولهم: **الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك، وأنّ الشرك مخصوصٌ بعبادة الأصنام.**

وفي الحقيقة أنّ الذين عبدوا غير الله جل وعلا لا يعرفون معنىٰ الشِّرك؛ كجهلهم بعلوم الشريعة وبأصول الدِّين، فإنَّهم لا يعرفون معنىٰ العبادة، ولا يعلمون معنىٰ الشرك، ولا يعلمون معنىٰ التوحيد، لهٰذا قد ينكرون شيئًا وهم واقعون فيه، وقد ذكر الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ في رسالته «الدّر النضيد»[2] أن عُبّاد القبور

---

(١) قال الشيخ العلامة عبد الرزاق عفيفي في جامعه الفريد: (المحصور بين هاتين العلامتين[ ] سقط من جميع الطبعات وأكملناه من المخطوطة المعاصرة لشيخ الإسلام المؤلف ص٨ وهي في خزانة كتبنا الخاصة برقم ٥١٣٨.) ط٤، ١٤٢٠هـ ص٢٧١.

(٢) وهي رسالة «الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد» للعلامة محمد بن علي الشوكاني.

عندهم تغييرٌ للأسماء، فيسمونها بغير اسمها؛ فيسمّون (الشرك) توسلا، ويسمّون (طلب الشفاعة من الأولياء) توسُّلا، ويسمُّون (إنزال الحاجات بالأولياء والأنبياء) التجاءً إلىٰ الصالحين؛ لأنَّهم عند الله جل وعلا لهم المقامات العالية وأشباه ذلك، قال الشوكاني: وهٰذا لا يغيِّر من الحقائق شيئا إذِ العبرة بالحقائق لا بالأسماء، العِبرة بالمسميات لا بالأسماء.

فلو سُمِّيت الخمر ماءً -هٰذه تتمة من عندي- فلو سميت الخمر ماء فإنها خمر، ولو سميت (سرقة الأموال) إنها هدايا فإنها سرقة، فالأسماء لا تغيِّر في الأحكام الشرعية، إذ الأحكام مرتبطة بحقائق الأمور، فإذا وُجدت حقيقة الأمر الذي حرّمه الشرع أو أمر به الشرع فإنَّه هو المقصود بالتحريم وهو المقصود بالأمر وإن اختلفت الأسماء؛ إذْ لا عبرة باختلاف الأسماء.

هنا تفريعًا علىٰ ذلك قال الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ ورفع درجته في الجنة: (فَإِنْ قَالَ) يعني المُدلي بالشبهة (أَنَا لَا أُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا حَاشَا وَكَلَّا) وهٰذا صنيعُ كلِّ من يعبد غير الله؛ يعبد الأولياء والأنبياء ويتقرَّب إليهم، أو يتقرَّب إلىٰ المشاهد أو إلىٰ الجن أو إلىٰ ما شابه ذلك من أنواع المعبودات من دون الله، كلُّهم يقولون: نحن لا نشرك. إذْ لا أحد يُقرُّ علىٰ نفسه بالشرك والكفر.

قال: (فَإِنْ قَالَ) يعني بعد ما ذكرنا من مسألة الشفاعة أو من أدلىٰ بهٰذه الشبهة (أَنَا لَا أُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا حَاشَا وَكَلَّا) يعني أنا لستُ من المشركين وعندي إباءٌ أن أكون من أهل الشِّرك، أو أن أفعل الشرك، فحاشا وكلا أن أشرك بالله شيئًا، لِم؟ قال: لأن (الالْتِجَاءَ إِلىٰ الصَّالِحِينَ لَيْسَ بِشِرْكٍ).

فإذن رجع أمر هٰذه الطائفة إلىٰ أنَّهم يتبرؤون من شيء يفعلونه، وإذا كان هٰذا المتبرّأ منه من أصول الدِّين؛ من التوحيد، فإن فعله يدلُّ علىٰ أنهم لم يعلموا معنىٰ الشرك ومعنىٰ التوحيد، فلابد لهم إذن من إقامة الحجة؛ لأنّه ينفي عن نفسه أن يكون من المشركين ويكره الشرك ويكره الكفر؛ لكنه واقعٌ فيه، فلابد من البيان له والتعليم وإقامة الحجة عليه في أنَّ ما يفعله داخلٌ فيما نفاه عن نفسه.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَقُلْ لَهُ) هٰذا ابتداء جواب الشبهة (إِذَا كُنْتَ تُقِرُّ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ الشِّرْكَ أَعْظَمَ مِن تَحْرِيمِ الزِّنَا، وَتُقِرُّ أَنَّ اللهَ لا يَغْفِرُهُ) إلىٰ آخر الكلام، هٰذا الجواب للشبهة مبني علىٰ مراتب:

الأولىٰ: هٰذه المرتبة التي سمعتَ وهي أن يُطلب منه تفسير الشرك، ما هو هٰذا الشرك الذي لا يغفره الله وأنت تنفيه عن نفسك؟ هاتِ معنىٰ الشرك.

المرتبة الثانية: أن يفسّر الشرك بعبادة الأصنام؛ فيُسأل ما معنىٰ عبادة الأصنام؟

الثالثة: هل الشرك مخصوصٌ بعبادة الأصنام أم لا؟

فهٰذه ثلاثُ مراتب لجواب هٰذا الإشكال، فمن قال: إنَّ التوسل بالصالحين ليس بشرك -يعني التوسل الشركي الذي يفعله عباد القبور والخرافيون ويعدُّونه توسُّلًا وهو دعاء غير الله جل وعلا وطلب الشفاعة من الأموات- هٰذا مبنيٌّ علىٰ هٰذه الثلاث مراتب، فنأتيها واحدة واحدة.

فالأولى: قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: (إِذَا كُنْتَ تُقِرُّ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ الشِّرْكَ أَعْظَمَ مِن تَحْرِيمِ الزِّنَىٰ، وَتُقِرُّ أَنَّ اللهَ لا يَغْفِرُهُ، فَمَا هٰذا الأَمْرُ الَّذِي عَظَّمَهُ اللهُ وَذَكَرَ أَنَّهُ لا يَغْفِرُهُ؟ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي.) هٰذا تنزيلٌ لطائفة إذا قلت له: ما هٰذا الشرك الذي حرَّمه الله وعظمه بين أنه لا يغفره وأن أعظم من الزنىٰ ومن شرب الخمر ومن إتيان المحارم إلىٰ غير ذلك، فطائفة منهم يقولون: لا ندري ما هٰذا الشرك، لا نعلم ما هٰذا الشرك.

فإذن هٰذه الطائفة يقال لها: كيف تُبرِّئ نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه؟ إذا كنت لا تعرف حقيقة الشرك، فكيف تقول: أنا لا أشرك بالله شيئا؟!. ومعلوم أن المشركين الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ ينفون عن نفسهم الكفر وينفون عن أنفسهم الشرك بالله جل وعلا؛ لأنّ هٰذا الشريك الذي دعوه مع الله جل وعلا هو لله جل وعلا فنفوا أن يكونوا مشركين علىٰ الحقيقة، مثل ما قال قائلهم وهو يُلَبِّي: إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك. فإذا كان الشريك لله فإن سؤاله لا يعد سؤالا لأحد غير الله جل وعلا، مثل اعتقاد النصارىٰ والاعتقاد في الملائكة أنها بنات الله وكذلك الاعتقاد في الأصنام والأوثان.

وهم -إذن- لا أحد يُقِرُّ علىٰ ننفسه أنه مشرك مطلقا، إذْ يلزم من ذلك أن الشرك المطلق يعني أنه يقرّ بأن ثمة مصرّف للأمور غير الرّب جل وعلا، والمشركون مُقِرُّون بأن المصرف للأمور هو الله جل وعلا وحده، إذ يلزم لازمًا عقليا واضحًا وأيضا شرعيا أنّ من اعتقد بأن مع الله إلهًا آخر يلزمه أن يعتقد أنه ربٌّ وأنَّه يعطي ويمنع وأنه هو الذي يدبِّر الأمر وهو الذي يسخِّر السحاب وينزل المطر.

ولهٰذا تجد أن في القرآن كثيرا ما يحتج علىٰ المشركين بتوحيد الربوبية علىٰ توحيد الإلهية.

فهم خروجًا من هٰذا الإلزام قالوا: إنَّ هٰذه الآلهة لله جل وعلا فهو يملكها وهي تحت تصرفه، وهم ينقلون ما يحتاجه خلقُه إلىٰ الله جل وعلا، مثل ما فعل غُلاة المتصوفة حيث قالوا: إنَّ العالَم له أقطابٌ أربعة فوَّض الله إليهم رفع حاجات أهل الأرض، فالقطب الفلاني في مصر، والقطب الثاني في الهند، والقطب الثالث في الشمال، والقطب الرابع في الجنوب؛ يعني أنَّ هؤلاء فوّض الله إليهم أمر رفع الحاجات.

فنَخْلُص من ذلك: أن من وقع في الشرك فإنه قد يقول: أنا لم أقع في الشرك، وحاشاي أن أشرك. فإذا طُلِب منه تفسير الشرك لم يعرف تفسيره، وهٰذه مرتبة العوام.

فهؤلاء جوابُهم أن يقال: كيف تبرِّئ نفسك من شيء وأنت لا تعرفه؟ كيف تبرئ نفسك من الشرك، وأنت لا تعرفه؟ كيف يحرِّم الله عليك هٰذا ويذكر أنه لا يغفره ولا تسأل عنه ولا تعرفه؟

لا شك أنّ هٰذا يدل علىٰ عدم رغبةٍ في الخير؛ بل يدلّ عدم معرفة وعلم بما خلق الله جل وعلا العباد له، فإنه إذا علم أن الشرك محرّم وأنه لا يغفره الله وأن أهله مخلدون في النار إن لم يتوبوا، فكيف يقول: أنا لا أعرف هٰذا الشرك؟ فهٰذا إعراضٌ عن الدين كما قال الله جل وعلا: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾[الأنبياء].

فإذن كيف لا تسأل عنه؟ كيف تَتَعَرَّفه؟ (تَظُنُّ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يُحَرِّمُهُ هٰذَا التَّحْرِيمَ وَلا يُبَيِّنُهُ لَنَا؟) وهٰذا في الحقيقة جواب يَصلح للعوام؛ لأن العامي لا يصلح له ما يصلح لمن يجادل ببعض الشبه العلمية، فهٰذا يقول: أنا لا أشرك. فتسأله عن الشرك فيقول: أنا لا أعرفه. فيقال له كيف تنفي عن نفسك شيئا وأنت لا تعرفه؟

فهٰذا يكفي في جواب هٰذا العامي أن يجعلك معلِّمًا له، وكما ذكرنا لك في السابق إذا استطعت في مجادلة عوام المشركين في أنْ تجعلهم في مرتبةٍ أدنىٰ منك فتكون معلِّمًا بحُسن عبارة في أن تجرَّه إلىٰ أن يعترف علىٰ نفسه بالجهل، ثم تنتقل من مناظر إلىٰ معلِّم، فهٰذا من أعظم الوسائل للإقناع ولإحداث الخير وإقامة الحجَّة وبيان المَحَجَّة.

فلا يُنزَّل العامي منزلة العالم، لا ينزل من هو خال من الحجة أصلا جاهل من هو عنده شبه، فإذا عاملتَ هٰذا معاملة هٰذا فإنك تخسر؛ بل ينبغي أن تسلك ما ذكره الشيخ رَحِمَهُ اللهُ هنا في أن تطلب منه تفسير الشيء فإذا كان عنده علم ناقشه بردّ تفسيره، وإذا لم يكن عنده علم فتقول له: كيف تكون علىٰ هٰذه الحال تنفي عن نفسك شيئا وأنت واقع فيه وأنت جاهل بمعناه؟.

فإذن تنتقل معه إلىٰ التعليم لهٰذا تقول له كما قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: (تَظُنُّ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يُحَرِّمُهُ هٰذَا التَّحْرِيمَ وَلا يُبَيِّنُهُ لَنَا؟) فلا شك أنه سيقول: لا؛ بل إنّ الله إذا حرّم علينا هٰذا فهو سيبينه لنا وستبدأ معه في بيان التوحيد ومعنىٰ لا إلٰه إلا الله والشرك والكفر بالطاغوت والعبادة إلىٰ غير ذلك.

ثم قال وهي **المرتبة الثانية** في أناس من أهل هٰذه الشبهة وهم الذي يقولون: نحن لسنا مشركين وحاشانا من ذلك، والالتجاء إلىٰ الصالحين ليس بشرك، أهل المرتبة الثانية من هٰذه الطائفة هم الذين يقولون: (الشِّرْكُ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ، وَنَحْنُ لا نَعْبُدُ الأَصْنَامَ.)

تلحظ أن هٰذه الكلمة مرّت معنا في شبهة قبل ذلك؛ لكنها مرتبةٌ لطائفة ممن يقولون: الالتجاء إلىٰ الصالحين ليس بشرك، والشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ كرّر؛ لأنّ المقام يحتاج إلىٰ هٰذا؛ لأن هؤلاء يدخلون تحت مَظَلَّة من يقول: الالتجاء إلىٰ الصالحين ليس بشرك، وأولئك يدخلون تحت مظلة الشفاعة؛ يعني طلب الشفاعة من الأموات، وآخرون يدخلون تحت مظلة أخرىٰ.

إذن أصول الشبهات مختلفة، وقد يختلف أهلها في الإيراد في طوائف منهم كما يمرّ معنا هنا.

إذن فهؤلاء طائفة ثانية مرتبة ثانية من أهل هٰذه الشبهة قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَإِنْ قَالَ: الشِّرْكُ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ، وَنَحْنُ لا نَعْبُدُ الأَصْنَامَ.) قد يكون لُقِّنَ هٰذه الحجة فيكون عامّيا وقد يكون عنده شبهة في هٰذه المسألة؛ لأنّ الشرك إنما هو عبادة الأصنام، ولذلك احتاج إلىٰ التَّفصيل (فَقُلْ لَهُ: مَا مَعْنَىٰ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ؟) تسأله ما معنىٰ عبادة الأصنام:

إما أن يقول: لا أعرف معنىٰ عبادة الأصنام.

وإما أن يقول: عبادة الأصنام كذا وكذا.

فإن قال: لا أعلم معنىٰ عبادة الأصنام، فنقول له: كيف تفسر شيئا بشيء وتحتج عليه وأنت لا تعلمه؟! فإذا سكت فإنك تدلي عليه معنىٰ عبادة الأصنام.

فإن قال: معنىٰ عبادة الأصنام أنهم يتوجّهون إلىٰ هٰذا الحجر بسؤاله فهو يعتقدون في الأحجار لأنها أحجار، فتقول له مثل ما قال الشيخ هنا: (أَتَظُنُّ أَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ تِلْكَ الأَحْجَارَ وَالأَخْشَابَ والأَشْجَارَ تَخْلُقُ وَتَرْزُقُ وَتُدَبِّرُ أَمْرَ مَنْ دَعَاهَا؟) فتسأله هؤلاء الذين عبدوا الأصنام، كيف عبدوها؟ وكيف سُمُّوا عبدةً للأصنام؟

فإما أن يقول: لأنهم اعتقدوا فيها الخلق والرزق والإحياء والإماتة. فتقول له: هٰذا يكذِّبه القرآن، وتسرد له الآيات مثل ما قال الشيخ: (كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[يونس:٣١] الآية.) الآية في يونس ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ

﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾؛ يعني إذا كنتم مقرِّين بتوحيد الربوبية، أفلا تتقون الله في إشراككم معه آلهة أخرىٰ، فهٰذا نوعٌ، إذا قال: اعتقدوا فيها أنها تخلق وترزق وتنفع وتضر وترسل المطر.. إلىٰ آخر ذلك، فقل: هٰذا يكذِّبه القرآن، وتسرد له الأدلة.

(وَإِنْ قالَ) هٰذا احتمال ثاني (هُوَ مَنْ قَصَدَ خَشَبَةً، أَوْ حَجَرًا، أَوْ بِنْيَةً علىٰ قَبْرٍ أَوْ غَيْرِهِ، يَدْعُونَ ذَلِكَ وَيَذْبَحُونَ لَهُ) فإنه قد يقول هٰذا نتيجة لعلم له بحال المشركين؛ لأنه يقصد الخشبة، يقصد الحجر، يقصد البنية علىٰ القبر علىٰ أنواع من أشرك بهم في الجاهلية يدعون ذلك، كما أخبر الله جل وعلا في كتابه بقوله: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت]، فإذن صار الشرك دعاء لأنه قال: ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ﴾ ثم قال: ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ يعني الشرك في الدعاء، فإذا فسره بهٰذا التفسير بأنه قصد الخشبة أو الحجر أو البنية علىٰ قبر؛ يعني قصد هٰذه الأشياء، لم يقصد من في القبر، قصد الخشب، قصد الحجر، قصد نفس البناء (يَدْعُونَ ذَلِكَ وَيَذْبَحُونَ لَهُ يَقُولُونَ: إِنَّهُ يُقَرِّبُنا إِلَىٰ اللهِ زُلْفَىٰ، وَيَدْفَعُ عَنَّا اللهُ بِبَرَكَتِهِ وَيُعْطِينَا بِبَرَكَتِهِ. = فَقُلْ: صَدَقْتَ،) هٰذا هو الشِّرك، وهم ما قصدوا خشبة يدعونها لاعتقادٍ في الخشبة؛ بل لاعتقادٍ في الرُّوح التي تحُلُّ في الخشب حين السؤال.

فالمشركون يعتقدون أنّه إذا سُئلت الخشبة التي هي ممثّلة علىٰ صورة كوكب من الكواكب المؤثرة -في اعتقادهم-، أو علىٰ صورة ملك، أو علىٰ صورة نبي، أو علىٰ صورة ولي، أو علىٰ صورة صالح، أو علىٰ صورة من يعتقدون فيه، فإن هٰذا الصنم أو الوثن إذا سُئل تكلَّم، وهٰذا الكلام منه إنما هو من شيطان، فهم يعتقدون أنهم إذا خاطبوه ودعَوه فإن رَوْحانية هٰذا الكوكب تتكلم، أو روحانية المَلَك، تتكلم، أو روحانية الولي أو النبي تتكلم، حتىٰ ربما إنه ينطق الجني علىٰ لسان الميت، وهم يعرفون أن هٰذا هو كلامه، فيقول: سمعنا من القبر كذا وكذا وكذا بصوت الولي فلان الذي نعرفه، ويكونون قد صدقوا فيما سمعوا؛ لأنهم سمعوا صوت الولي نفسِه؛ ولكنهم لم يسمعوا الولي نفسَه، وإنما سمعوا صوته الذي قلّده الشيطان والجنّي، ومعلومٌ أن شياطين الجن عندها قدرة علىٰ التشكّل في الصور، وعندها قدرة علىٰ التشكل في الأصوات، وعندها قدرة أيضًا علىٰ أن تنزل الأشياء علىٰ غير حقيقتها، وهٰذا مما أقدرهم الله جل وعلا عليه ليحصل الابتلاء وتحصل الفتنة.

فإبليس -عليه لعنة الله- حصل منه ما حصل من التشكل في صورة رجل وصورة شيخ نجدي عند المشركين إلىٰ آخره، وفي يوم بدر كذلك، والجن يتشكّلون، ربما أتاك جني في صورة آدمي، وأنت لا تعلم، ربما تكلم من تكلم بصوت وهو شيطان.

فإذن ما يذكرونه من أنهم حين يسألون الأخشاب أو الأحجار أو الغرف التي علىٰ القبور أو المشاهد، أو يأتون إلىٰ القبر وأن هناك من تكلم وقال سَأُلبِّي حاجتكم أو أمرهم بأشياء فهم صادقون؛ لكن هٰذا من الجن ودخلوهم في هٰذا الأمر إنما من جراء الشرك بالله جل وعلا، كما قال سبحانه في آخر سورة سبإ: ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾؛ يعني في الحقيقة مع أنهم إنما دعوا الملائكة، ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾﴾[سبأ] لأنهم كانوا يطلبون من الملائكة، وقالت الملائكة: ﴿سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ﴾ يعني في الحقيقة أنهم كانوا يعبدون الجن؛ لأن الذي تكلم وخاطبهم الجني، وهم تقربوا لمن خاطبهم وهو الجني، ففي الحقيقة العبادة توجهت للجن لا إلىٰ الملائكة كما قال جل وعلا: ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾[سبأ]، وكما قال سبحانه في سورة الأنعام: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[الأنعام:١٠٠]، ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ ﴾ فالجن اتُّخذت له شركاء، وإن لم يعتقدوا ذلك هم أنهم عبدوا الصنم؛ يعني عبدوا الجن لكن في الحقيقة هم عبدوا ذلك واتخذوهم شركاء.

فإذن فتقول له: صدقت في أنهم قصدوها يدعونها ويذبحون لها، ويقولون: إنها تقرّبنا إلىٰ الله زلفا، ويُدفع عنا ببركتها ويعطينا الله ببركتها.

مثل ما قال بعضهم لبعض الموحّدين من نحو أكثر من مائة سنة؛ قابل رجل من المشركين فقال له الموحد: كثيرٌ من أهل الطائف لا يعرفون الله إنما يعرفون قبر ابن عباس، فأجابه المشرك بقوله: معرفة ابن عباس تكفيهم، معرفةُ ابن عباس تكفيهم. لم؟ لهٰذا الأمر؛ لأنهم إذا توجهوا إلىٰ ابن عباس معناه توجهوا إلىٰ الله جل وعلا مثل ما قال هٰذا القائل.

(فَقُلْ: صَدَقْتَ، وَهٰذا هُوَ فِعْلُكُمْ عِنْدَ الأَحْجَارِ وَ[البِنَاءِ] الَّذِي عَلىٰ القُبُورِ وَغَيْرِهَا) إذا أتوا إلىٰ البنايات التي علىٰ القبور، أكثر القبور الآن التي بنيت عليها بنايات لا يوصل إلىٰ القبر ولا يُخلص إليه، وإنما هم يدعون ويعتقدون ويتمسَّحون ويطلبون بركة هٰذه البنية وفي قلبهم من في هٰذا القبر وقد لا يكون

في القبر أحدٌ أصلا، أو يكون فيه مشرك، أو يكون فيه حيوان ونحو ذلك، يكون قد دفن في هٰذا واعتقد فيه.

فإذن الذي فعله هؤلاء الأولون عند الأصنام والأوثان والخشب والحجر والبناء التي علىٰ القبور هو الذي فعله أهل هٰذه الأزمان عند البنايات التي علىٰ القبور، (فَقُلْ: صَدَقْتَ، وَهٰذا هُوَ فِعْلُكُمْ عِنْدَ الأَحْجَارِ وَالبِنَاءِ الَّذِي عَلىٰ القُبُورِ وَغَيْرِهَا، فَهٰذا أَقَرَّ أَنَّ فِعْلَهُم هٰذا هُوَ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ وَهُوَ المَطْلُوبُ) وهٰذه حجة واضحة بيِّنة.

إن كابر وقال: لسنا معتقدين فيهم الاستقلال؛ بل نعتقد فيهم الأسباب مثل ما يقول طائفة؛ يقولون: نحن لا نعتقد أنهم يُعطوننا استقلالا، ولا يغفرون لنا، ولا يشفون مرضانا، ولا يدفعون عنا الضر بأنفسهم وإنما هم أسباب، فكما أن الله جل وعلا جعل أسبابًا تقينا الحر، وأسبابا تقينا البرد، وأسبابا تقينا كذا وأسبابا تجلب لنا كذا وكذا، فإن الله جل وعلا جعل هؤلاء أسبابًا.

فيجاب بما أجبته لك مفصلا من قبل ومطولا، فيجاب بأن هٰذا السبب هو عينه الذي تعلّق به المشركون، فإنهم قالوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾[الزمر:٣]. وهٰذا هو معنىٰ السببية بنفسها، وهٰذا هو معنىٰ طلب الوساطة وطلب الجاه.

ويقال له (أَيْضًا) وهٰذه **الفئة الثالثة** من أهل هٰذه الشبهة، (قَوْلُكَ) واضح التعلق بين هٰذا القول وبين قوله: (الالْتِجَاءَ إِلىٰ الصَّالِحِينَ لَيْسَ بِشِرْكٍ)؛ لأن الالتجاء معناه عندهم الدعاء؛ دعاء الصالحين، طلب بركة الصالحين بسؤالهم، وطلب الشفاعة عندهم، الالتجاء إليهم بالذَّبح لهم مثل ما فسره هنا.

فإذن قوله الالتجاء مساوٍ لقوله: (يَدْعُونَ ذَلِكَ وَيَذْبَحُونَ لَهُ يَقُولُونَ: إِنَّهُ يُقَرِّبُنا إِلَىٰ اللهِ زُلْفَىٰ، وَيَدْفَعُ عَنَّا اللهُ بِبَرَكَتِهِ وَيُعْطِينَا بِبَرَكَتِهِ) هٰذا هو الالتجاء إلىٰ الصَّالحين، وهٰذا هو عين ما يُفعل عند الأصنام والأوثان والآلهة المختلفة.

(وَيُقَالُ لَهُ أَيْضًا: قَوْلُكَ الشِّرْكُ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ)، هٰذا تتمَّة لهٰذا الجواب (هَلْ مُرَادُكَ أَنَّ الشِّرْكَ مَخْصُوصٌ بِهٰذَا ؟) هٰذا تتمة لهٰذا الجواب؛ لكنه في طائفة ثالثة؛ فيمن يقول: الشرك مخصوص بعبادة الأصنام، (هَلْ مُرَادُكَ أَنَّ الشِّرْكَ مَخْصُوصٌ بِهٰذَا، وَأَنَّ الاعْتِمَادَ عَلىٰ الصَّالِحِينَ وَدُعَاءَهُمْ لا يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ؟) فإذا قال: نعم الشرك مخصوص بعبادة الأصنام، (فَهٰذا يَرُدُّهُ مَا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ مِنْ كُفْرِ مَنْ

تَعَلَّقَ عَلَىٰ الملائِكَةِ أَوْ عِيسَىٰ أَوِ الصَّالِحينَ.) وهٰذا قد قدمناه بوضوح في أن أنواع الشرك عند أهل الجاهلية متنوعة ليست نوعا واحدا، فمنها الأصنام وفيها أدلة في القرآن كثيرة، ومنها الأوثان المصورة الأنبياء الأولياء وما شابه ذلك، ومنها الاعتقاد في الأحجار والأشجار المصوّرة علىٰ صور الكواكب وأشباه ذلك.

قال: (فَهٰذا يَرُدُّهُ مَا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ مِنْ كُفْرِ مَنْ تَعَلَّقَ عَلَىٰ الملائِكَةِ أَوْ عِيسَىٰ أَوِ الصَّالِحينَ، فَلابُدَّ أَنْ يُقِرَّ لَكَ أَنَّ مَنْ أَشْرَكَ فِي عِبَادَةِ اللهِ أَحَدًا مِن الصَّالِحِينَ فَهُوَ الشِّرْكُ المَذْكُورُ فِي القُرْآنِ وَهٰذا هُوَ المَطْلُوبُ.) يعني تقول لهٰذا الذي قال: (الشرك مخصوص بعبادة الأصنام): هل عيسىٰ عليه السلام أُشرك به أم لا؟ فإن قال: لا. فقل: بل أُشرك به كما قال جل وعلا في القرآن: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[المائدة:١١٦]، وكذلك كقوله جل وعلا: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [التوبة:٣١] والآيات في هٰذا الباب كثيرة.

فإذن قل: هل عيسىٰ عُبد عليه السلام واتخذ إلهًا أم لا؟

- فإن قال: لا. بيّن له الآيات.
- وإن قال: نعم. فهو المقصود أيضا.

وعلىٰ كل من الاحتمالين مع الجواب فإنه يردّ هٰذا تخصيصه الشرك بعبادة الأصنام، وهٰذه الكلمة (الشرك عبادة الأصنام) تراها في كثير من تفاسير المتأخرين، فقلّ أن ترىٰ تفسيرًا من تفاسير المتأخرين إلا وإذا ذُكر الشرك بالله في القرآن وعبادة غير الله فسّروها بأنها عبادة الأصنام.

والمفسرون الأوّلون كالإمام ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ وكغيره من الأئمة يفسِّرون الشرك حيث ورد بعبادة غير الله بأنواع ما ورد، فيكثر أن يقول ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ: نهىٰ الله عن الشرك به ودعوة غيره من الأصنام والأوثان والأنداد، ابن جرير يُكثر من هٰذه الثلاثة (الأصنام والأوثان والأنداد) لأنها أنواع ما جاء في القرآن.

قال: (فَلابُدَّ أَنْ يُقِرَّ لَكَ أَنَّ مَنْ أَشْرَكَ فِي عِبَادَةِ اللهِ أَحَدًا مِن الصَّالِحِينَ فَهُوَ الشِّرْكُ) لأنّه -إذن- يكون قوله: الشرك مخصوص بعبادة الأصنام. يكون غلطًا فتقول له إذن: (فَلابُدَّ أَنْ يُقِرَّ لَكَ أَنَّ مَنْ أَشْرَكَ فِي

عِبَادَةِ اللهِ أَحَدًا مِن الصَّالِحِينَ فَهُوَ الشِّرْكُ المَذْكُورُ فِي القُرْآنِ وَهٰذا هُوَ المَطْلُوبُ..)

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَسِرُّ المَسْأَلَةِ: أَنَّهُ إِذا قَالَ: أَنَا لَا أُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا. فقُلْ لَهُ: وَمَا الشِّرْكُ بِاللهِ؟ فَسِّرْهُ لِي؟ فَإِنْ قالَ: هُوَ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ. فَقُلْ لَهُ: ومَا عِبَادَةُ الأَصْنَامِ؟ فَسِّرْهَا لِي.

وَإِنْ قَال: أَنَا لَا أَعْبُدُ إِلَّا اللهَ. فَقُلْ: ما مَعْنَىٰ عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ؟ فَسِّرْهَا لِي، فَإِنْ فَسَّرَها بِمَا بَيَّنْتُهُ فَهُوَ المَطْلُوبُ، وَإِنْ لَمْ يَعْرِفْهُ فَكَيْفَ يَدَّعِي شَيْئًا وَهُوَ لا يَعْرِفُهُ.

وَإِنْ فَسَّرَهَا بِغَيْرِ مَعْنَاهَا بَيَّنْتَ لَهُ الآيَاتِ الوَاضِحَاتِ) يبيِّن لك الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أن سِرّ إقامة الحجة وكشف الشبهة في هٰذه المسألة مبني علىٰ هٰذه المراتب التي ذكر.

(سِرُّ المَسْأَلَةِ) يعني سرُّ مسألة جواب هٰذه الشبهة أن تقول: (إِذا قَالَ: أَنَا لا أُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا. فقُلْ لَهُ: وَمَا الشِّرْكُ بِاللهِ؟) دائمًا تسأل: ما هٰذا الذي نفيته؟ (فَإِنْ قالَ: هُوَ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ. فَقُلْ لَهُ: ومَا عِبَادَةُ الأَصْنَامِ؟)، (وَإِنْ قَال: أَنَا لَا أَعْبُدُ إِلَّا اللهَ. فَقُلْ: ما مَعْنَىٰ عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ ؟) فدائما تجعله جاهلا؛ بمعنىٰ: تجرّه إلىٰ ميدان الجهل حتىٰ يقول: أنا جاهل، فإن قال: أنا جاهلٌ. فتنتقل معه من الحِجاج إلىٰ التّعليم.

وإن فسَّرها -هٰذا نوع ثاني من الناس- بما في القرآن لكنه جهل أو اشتبه عليه دخول المعاصرين وعبادة غير الله في هٰذه الأزمنة بما جاء في القرآن، ففسرها بما في القرآن، فتقول: هٰذا هو المطلوب فتبيِّن له وجه الشبه.

إنْ فسر ذلك -هٰذه الحال الثالثة- بغير معناه، وهٰذه خاصَّة بأهل العلم ومن يُدْلُون الشبه من المنتسبين إلىٰ العلم وعلمهم غير نافع، إن فسر ذلك بغير معناه بينت له الآيات الواضحة في معنىٰ الشرك بالله.

إن فسّر الشرك بغير معناه الصحيح تذكر له الآيات الواضحة في معنىٰ الشرك، وأنّ الشرك يكون بأنواع كما جاء في القرآن وكما بيّنه الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في «كتاب التوحيد».

بيّن له معنىٰ عبادة الأوثان، فإذا بيَّنت له ذلك يتّضح (أَنَّهُ الَّذِي يَفْعَلُونَ فِي هٰذا الزَّمَانِ بِعَيْنِهِ. وَأَنَّ عِبَادَةَ اللهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ هِيَ الَّتِي يُنْكِرُونَ عَلَيْنَا وَيصِيحُونَ [مِنْهُ]، كَمَا صَاحَ إِخْوَانُهُم حَيْثُ قَالُوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾[ص]).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ بعد ذلك: (فَإِنْ قَالَ) هٰذا دخول في شبهة جديدة، (فَإِنْ قَالَ) يعني نوع من مُوردي الشبه

(إِنَّهُمْ لَمْ يَكْفُرُواْ بِدُعَاءِ المَلاَئِكَةِ والأَنْبِيَاءِ) هٰذا نوع من الناس يقول: لا؛ كفرهم كان بشيء آخر ليس بالشرك بالله، ولا بالتوجه بالصالحين، ولا التوجه للأنبياء، هٰذه الأمور جائزة؛ لكن كفرهم كان بشيء آخر، ما هٰذا الشيء؟

قال: (وَإِنَّمَا كَفَرُوا لَـمَّا قَالُواْ: المَلاَئِكَةُ بَنَاتُ اللهِ، وَنَحْنُ لَمْ نَقُلْ: إِنَّ عَبْدَ الْقَادِرِ وَلاَ غَيْرَهُ ابْنُ اللهِ.) وهٰذه كثير ما يوردها الصوفية في أن الأولين كفروا باعتقادهم أنّ الملائكة بنات الله جل وعلا، وهٰذا الاعتقاد مبيّن في القرآن في سور كثيرة كسورة النحل وسورة الصافات وسورة الزخرف، وغير ذلك من السور.

قال: (لَمْ نَقُلْ: إِنَّ عَبْدَ الْقَادِرِ) يعني الجيلاني وهو معظم ومؤلَّه في العراق وفي باكستان وفي الهند وفي غيرها أيضا إن قال: أنا لم أعتقد في عبد القادر أنه ابن لله، ولا في النبي ﷺ أنه ابن لله، ولا في عيسىٰ أنه ابن لله، ولا في كذا أنه ابن لله، ولا في البدوي أنه ابن لله، ولا في علي رضي الله عنه أنه ابن لله إلىٰ آخر ذلك، وهؤلاء إنما كفروا في أن الملائكة بنات الله؛ يعني اعتقاد البنوة، مثل ما قال البوصيري في قصيدته «الميمية» المعروفة:

دَعْ ما ادّعته النَّصارىٰ في نبيهم ... واحكم بما شئت [مدحا] فيه واحتكم

أو كما قال.

وقال أيضا :

لو ناسبت قدْرَه ....

يعني النبي ﷺ :

لو ناسبت قدره آياته عظما ... أحيىٰ اسمه حين يُدعىٰ دارس الرمم

فيقول قل ما شئت في النبي ﷺ من وصفه بما شئت إلا في شيء واحد، وهو ألا تقول كما قالت النصارىٰ في عيسىٰ إنه ابن لله جل وعلا.

ويفهمون هٰذا علىٰ الحديث الذي رواه البخاري وغيره في قوله عليه الصلاة والسلام: «**لا تطروني كما أطرت النصارىٰ ابن مريم، وإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله**» قالوا: فمعنىٰ الحديث أنه لا تبلغوا بي مبلغ النصارىٰ في قولهم: إن عيسىٰ ابن الله وما هو غير ذلك فجائز لكم، هكذا يفهمونه، وهٰذه حجة طائفة كبيرة من غلاة الصوفية وأصحاب الطرق في قولهم: إنّ المحرم والشرك هو ادعاء البنوة، أما غير

ذلك فليس من الشرك بالله كما قال:

دع ما اعدته النصارىٰ في نبيهم واحكم بما شئت مدحًا فيه واحتكم

أو كما قال.

قال: (فَالجَوَابُ) هٰذا جواب هٰذه الشبهة (أَنَّ نِسْبَةَ الوَلَدِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ كُفْرٌ مُسْتَقِلٌّ) بيّن أن نسبة الولد إلىٰ الله كفر؛ لكنها ليست كل الكفر، فقال جل وعلا: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾[الإخلاص]، (وَالأَحَدُ: الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ) ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ أحدٌ يعني لا نظير له في ذاته، ولا نظير له في أسمائه ولا نظير له في صفاته جل وعلا، واحدٌ في ألوهيته لا شريك له، واحدٌ في ربوبيته لا شريك له، واحدٌ في أسمائه وصفاته لا سميَّ له، فكما أنه لا شريك له في الربوبية.....[1] (الْمَقْصُودُ فِي الْحَوَائِجِ) فدلَّت الآية علىٰ نوعين (فَمَنْ جَحَدَ هٰذا فَقَدْ كَفَرَ، وَلَوْ لَمْ يَجْحَدْ آخِرَ السُّورَةِ) دلت الآية علىٰ نوعين:

النوع الأول: هو من لم يجعل الله واحدا وجعله اثنين كاعتقاد طائفة من النصارىٰ، أو اعتقده ثلاثة كاعتقاد طائفة أخرىٰ أيضًا من النصارىٰ وغيرهم، فقوله جل وعلا: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ... لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ هٰذا فيه رد علىٰ من اعتقد البنوة، وقوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ رد علىٰ من اعتقد أنه يُصمد في الحوائج إلىٰ غيره.

فإذن سورة الإخلاص دلت علىٰ كفر نوعين من الناس:

- وهم من لم يجعل الله مختصًّا بالأحدية.
- ومن لم يجعل الله مختصا بالصمدية، والصَّمد هو الذي يصمد إليه في الحوائج؛ يعني يُقصد وحده دون ما سواه.

قال: (فَمَنْ جَحَدَ هٰذا فَقَدْ كَفَرَ، وَلَوْ لَمْ يَجْحَدْ آخِرَ السُّورَةِ.) هٰذا برهان علىٰ أن الشِّرك في القرآن وأن المشركين -مشركي العرب وغيرهم- ليسوا معتقدين في البنوَّة وحدها؛ بل معتقدين في البنوة ومعتقدين أيضا في الشريك مع الله جل وعلا في العبادة.

---

(١) انتهىٰ الوجه الأول من الشريط العاشر.

(وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ﴾[المؤمنون:٩١])، قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَفَرَّقَ بَيْنَ النَّوْعَيْنِ، وَجَعَلَ كُلًّا مِنْهُمَا كُفْرًا مُسْتَقِلًّا) وهٰذا استدلال واضح قوي؛ إذ قال جل وعلا: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ يعني قبل أن يخلق الخلق، ولا بعد أن يخلق بعد أن خلق الخلق ولو اتخذ الرَّحمٰن ولدا لعبدنا ذلك الولد طاعة لله جل وعلا وامتثالا لأمره؛ كما سبحانه في سورة الزخرف: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾﴾[الزخرف]، علىٰ الصحيح في تفسيرها أنها علىٰ ظاهرها: أنا أول من يعبد هٰذا الولد لو اتخذه الرَّحمٰن امتثالا لأمر الله وطاعة له جل وعلا.

والواقع أن هٰذا لا يكون ولا يمكن إذ الله جل وعلا ما اتخذ مما يخلق بنات، ولم يتخذ سبحانه ولدا؛ لأنه لم يلد ولم يولد، ولو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفىٰ مما يخلق ما يشاء، لتنزهه ﷻ عن الولادة بدأ وأصلا وفرعا.

فإذن فقوله: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ هٰذا نفي للولادة ولاتخاذ الولد، قال: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ وهٰذا نفي لنوع آخر، وكما هو مقرر في العربية والأصول أن واو العطف هٰذه تفيد التغاير -تغاير الذات وتغاير الصفات.

- فتغاير الذات كما تقول: دخل محمد وخالد، فذات محمد غير ذات خالد.
- وتغاير الصفات كما في قوله جل وعلا: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾﴾[النمل]، فهنا القرآن هو الكتاب؛ ولكن الواو هنا دلت علىٰ تغاير الصفة فهو كتاب وهو قرآن.

فقوله جل وعلا هنا: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ﴾[المؤمنون:٩١] كما قال الشيخ: (فَفَرَّقَ بَيْنَ النَّوْعَيْنِ) ودلت الواو علىٰ تغاير ذات الإله عن ذات الولد باعتبار اعتقاد المشركين، وعلىٰ تغاير صفة الإله عن صفة الولد. وهٰذا هو الواقع في اعتقادهم، فإنهم إذا توجّهوا للولد إنما يتوجهون إلىٰ الله كما يقول النصارىٰ: أب وابن وروح القدس إله واحد؛ يجعلون الإله الواحد له ثلاثة أقانيم، أو كما يقول طائفة أخرىٰ من النصارىٰ: إنه أب وابن فيجعلونه أقنومين فقط، فهٰذا توجّه لشيء واحد باختلاف الأقانيم، وهٰذا داخل في الولادة حيث قال جل وعلا: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾، الشيء الثاني: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ فالآلهة في الواقع هٰذه مغايرة في الذات للولد ومغايرة في الصفات، لا يقال: إن

الولد متّخذ إلٰه؛ لأن قول العلماء (مغايرة في الذات) يصدق عليه اختلاف الجمع والمفرد والعام والخاص، فإذا عُطف عام علىٰ خاص فيعتبر عندهم تغاير في الذات.

مثل ما قال جل وعلا: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾[البقرة]، فعطف جبريل وميكال علىٰ الملائكة وهٰذا تغاير في الذات، واضح؟ تغاير في الذوات؛ لأنَّ الثاني بعض الأول فالعام إذا جاء بعده خاص يعتبر تغاير في الذوات.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[1] هٰذا تغاير في الصفات -لأني أشوف كثير منكم وأنا أتكلم يفكر كأنه ما فهم هٰذا.

المقصود أن استدلال الشيخ في محلِّه؛ بل حجة واضحة حيث قال: (فَفَرَّقَ بَيْنَ النَّوْعَيْنِ، وَجَعَلَ كُلًّا مِنْهُمَا كُفْرًا مُسْتَقِلًّا. وَقالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡ﴾) بعني مع خلقه لهم جعلوا له شركاء الجن (﴿وَخَرَقُواْ لَهُۥ﴾ -وفي القراءة الأخرىٰ ﴿وخرَّقوا لَهُ﴾- ﴿بَنِينَ وَبَنَٰتَۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ [الأنعام:١٠٠] فَفَرَّقَ بَيْنَ الكُفْرَيْنِ) فجعل الشرك بالجن هٰذا نوع، وجعل خرق البنين والبنات له سبحانه نوع آخر، قال: (فَفَرَّقَ بَيْنَ الكُفْرَيْنِ، وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ هٰذا أَيْضًا: أَنَّ الذِينَ كَفَرُواْ بِدُعَاءِ اللَّاتِّ) إلىٰ آخره.

المقصود من هٰذه الأدلة أن قول القائل: ما كفرت العرب ولا النصارىٰ ولا اليهود إلىٰ آخره إلا باعتقاد البنوة. فهٰذا الكلام باطل، وهٰذه الشبهة مردودة علىٰ أصحابها بالأدلة التي ذكرت.

وتوسع الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ فقال: (وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ هٰذا أَيْضًا: أَنَّ الذِينَ كَفَرُواْ بِدُعَاءِ اللَّاتِّ- مَعَ كَوْنِهِ رَجُلًا صَالِحًا- لَمْ يَجْعَلُوهُ ابْنَ اللهِ، وَالذِينَ كَفَرُواْ بِعِبَادَةِ الجِنِّ لَمْ يَجْعَلُوهُم كَذَلِكَ، وَكَذَلِكَ العُلَمَاءُ أَيْضًا فِي جَمِيعِ المَذَاهِبِ الأَرْبَعَةِ يَذْكُرُونَ فِي بَابِ حُكْمِ المُرْتَدِّ: أَنَّ المُسْلِمَ إِذَا زَعَمَ أَنَّ للهِ وَلَداً فَهُوَ مُرْتَدٌّ، وَإِنْ أَشْرَكَ بِاللهِ فَهُوَ مُرْتَدٌّ، فَيُفَرِّقُونَ بَيْنَ النَّوْعَيْنِ، وَهٰذَا فِي غَايَةِ الوُضُوحِ) الأمة مجمعة والفقهاء والأئمة مجمعون علىٰ أن الرّدة ليست مخصوصة باعتقاد الولد لله جل وعلا، فدلّ هٰذا علىٰ بطلان هٰذه الشبهة، وهٰذا استدلال واضحٌ بين، والحمد لله، وهٰذا كما قال الشيخ في آخره: (وَهٰذَا فِي غَايَةِ الوُضُوحِ).

نقف عند هٰذا، ونسأل الله جل وعلا أن يوفّقني وإياكم إلىٰ ما يحب ويرضىٰ.

---

(١) الشعراء:٢٢٧، ص:٢٤، الانشقاق:٢٥، التين:٦، العصر:٣.

وأكرر في أنّ الانتفاع بما نذكر يعظُم عندما تعرف «كتاب التوحيد» وشرحه، وخاصة ما ذكرناه من الأدلة وأوجه الاستدلال في شرحي علىٰ «كتاب التوحيد»؛ لأن فهم «كشف الشبهات» مبني علىٰ فهم «كتاب التوحيد»؛ لأنك إذا قلت إيراد: ما معنىٰ العبادة؟ ما معنىٰ عبادة الأصنام؟ الشفاعة؟ كل هٰذه تفصيلها هناك وليس تفصيلها في هٰذا الكتاب.

[الأسئلة]

سؤال (): ...نفس الشبهة لكن بتفصيل أكثر؟

الجواب: تأملها، أنا نبهت في أول الأمر إلىٰ أن هٰذه الشبهة التي جاءت اليوم هي تكرير لما سبق لكن باعتبار مختلف؛ لأن المُورِد لهٰذه الشبهة عنده ما ليس عند المورد للأولىٰ، الشيخ قد يكرر لهٰذا.

سؤال (): ...

الجواب: هٰذا الذي خلَّاني أستطرد بعض الشيء، لما قلتُ: المغايرة بين الذات والصفات شفت كثير من الإخوة حلقت عيونهم في السماء.

الواو تقتضي في اللغة مطلق الجمع والمغايرة، وإذا قلنا: (مطلق الجمع) فالمراد بلا ترتيب، بلا ترتيب في الزمان ولا في المكان ولا في الفضل، وتفيد أيضا المغايرة، والمغايرة تعني أنّ ما بعد الواو غير ما قبل الواو، وقد يكون ما بعد الواو -يعني المعطوف- والمعطوف عليه ما قبل الواو قد يكون هٰذا وهٰذا من الذوات.

فإذن الثاني غير الأول مثل ما مثّلتُ لكم: دخل محمد وخالد، ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ كل شيء مختلف عن الثاني هٰذا تغاير في الذوات واضح؟.

الثاني التغاير في الصفات.

ذكرت لك أن التغاير في الذوات لا يسقط بأن يكون الأول بعض الثاني، ولا أن يكون الثاني بعض الأول؛ يعني إذا جاء عام بعد خاص معطوف بالواو= فيصدق عليه أنه تغاير ذوات؛ لأن الذات الثانية أعظم وأكثر من الذات الأولىٰ في عطف العام علىٰ الخاص، أو الأولىٰ أكثر ذواتا من الثانية.

فإذن تغاير في الذوات يعني هٰذا ليس هو هٰذا، من جهة الذات.

والثاني تغاير في الصفات، والتغاير في الصفات يكون في المعاني مثل ما ذكرت لكم ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الإيمان والعمل الصالح ليس ذاتا، وإنما هو معنىٰ، أليس كذلك؟ الإيمان هل هو ذات تُرىٰ؟ العمل الصالح ذات ترىٰ؟ ليس عينا ولا ذاتا وإنما هو معنىٰ.

فإذن العطف بالواو بين المعاني يدل علىٰ تغاير الصفات، فيكون الأول غير الثاني من جهة الصفة.

ولهٰذا نقول: إنه إذا قيل: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ علىٰ تعريف أهل السنة للإيمان ودخول العمل في مسماه هٰذا يفهم من وجهين:

الأول: أن العمل خاص بعد عام، فالإيمان عام والعمل خاص فحصل تغاير في الصفة من جهة الشمول.

والثاني: أن الإيمان إذا قرن به العمل الصالح فيعنىٰ بالإيمان التصديق الجازم بالأشياء والعمل الصالح هو العمل، فهٰذا يغاير ذاك في الحيثية.

والثاني اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾[مريم]، يُعني بالإيمان الأصل اللغوي ومعناه وهو أيضا الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله إلىٰ آخره؛ يعني ما هو قسيم للإسلام، الإسلام: العمل الظاهر، الإيمان: الاعتقاد الباطن، ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ تغاير في الصفة، إذْ الأول يدل علىٰ العمل الباطن والثاني يدل علىٰ العمل الظاهر مثل قوله جل وعلا: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾﴾[الحجر].

بعض المعاصرين الجهلة قال: هٰذا يدل علىٰ أن القرآن غير الكتاب؛ لأن الواو تقتضي المغايرة فالقرآن شيء والكتاب شيء، والقرآن هو ما لا يقبل التغيير، وأما الكتاب فيقبل التغيير؛ في مؤلف ألفه باطل معروف، هٰذا ناتج من الجهل باللغة.

فقوله: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾﴾[الحجر]، ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾﴾ [النمل] في سورتين هٰذا يدل -العطف بالواو- علىٰ تغاير صفة الكتاب عن صفة القرآن، لا علىٰ تغاير القرآن عن الكتاب، والصفة التي حصل فيها التغاير أن القرآن فيه صفة القراءة، والكتاب فيه صفة الكتابة.

فإذن هٰذا دليل علىٰ أنه مكتوبٌ وأنه سيُقرأ حيث كان مكتوبا.

وهٰذا البحث يُبحث في الأصول، وأيضا في النحو وفي كتب «حروف المعاني» وبحث معروف ومهم؛ لأن فهم الاستدلال مبني عليه.

سؤال (): الآية في قوله جل وعلا: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ﴾[المؤمنون:٩١] ما وجه المغايرة في الصفات؟ يسأل الأخ.

الجواب: أن الإلهية غير صفة اتخاذ الولد، ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ﴾، فالاتخاذ اتخاذ الولد شيء غير كون إله معه، فاتخاذ الولد من الله كما يقول أولئك: اتخذ الله عيسىٰ ولدا، أو اتخذ الله العزير ولدا.

فإذن جعْلُ عيسىٰ ولدا ليس بدعواهم ولكن باتخاذ الله له، وأما وجود الإله ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ فهٰذا وجود للإله الحق مع الله جل وعلا فمن هٰذه الجهة كان غير متَّخذ، فالأولىٰ فيها الاتخاذ والثانية فيها وجود الإله، فهٰذا كُفْر وهٰذا كفر.

نقف عند هٰذا، وأسأل الله جل وعلا لي ولكم التوفيق والسداد، وصلَّىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.